

الشهيد الشيخ علي عيسى المديفع



«تقد يم»

عندما امسكت القلم لأكتب عن شهيدنا (المُدَيْفع) انتا بتني الحيرة والدهشة وسيطر عليّ "جو" من هيبة الشهيد وقدسيته، تحيرت كيف أكتب ومن أين أبدأ وماذا أقول؟ إذ انا أقف أمام من أفنى نفسه في ذات الله وجاد بكل وجوده في سبيل الله، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، انه الشهيد القدّيس (الشيخ علي المُدَيْفع) الذي لم يعط للدنيا أي اعتبار ولم يحفل منها بأكثر من سد الرمق وستر البدن، اذّي لنا والكتابة عن مثل هكذا انسان؟

لقد تزاحمت أمامي الافكار وكدت أتبه في ذهول وأوشكت الأبواب تؤصد أمامي لكن لم يكن بد من إgabe الطلب وأداء الواجب فجئت هذه الاسطر المحدودة تلتمس العذر بخجل وحياء من روح الشهيد الطاهرة ومن القراء الكرام.

نـسـأـلـ اللهـ عـالـىـ انـ لاـ يـحرـمـنـاـ شـرـفـ الشـاهـادـةـ وـشـفـاعـةـ الشـهـادـاءـ،ـ كـمـاـ نـسـأـلـهـ العـزـةـ وـالـنـصـرـ لـلـإـسـلـامـ وـالـمـسـلـمـينـ.

«المولد المبارك»

والد الشهيد ووالدته كانوا أفضلاً مثالاً للأبوين الصالحين ومن يرى والد الشهيد الحاج عيسى المديفع يلمس فيه لأول وهلة التدين والصلاح، ومع أنه انسان بسيط ضعيف الحال إلا أن الطيب والصفاء والهدوء واللوقار صفات متميزة فيه، وأما أخواه صادق ومحمد فلم يعدوا سمة العائلة في التدين وحسن السيرة بل كان لهما وجود مؤشر وملموس في صفوف الشباب الملتهم، هذه هي عائلة الشهيد وهذا هم ذوه الأماجد... وفي هذا البيت الطاهر وفي أحصان هذه العائلة الشريفة جاء المؤولد المبارك (الشيخ علي المُدَّيْفع) وكان ذلك في قرية (الدَّبَّابِيَّة) بالقطيف سنة 1380هـ، وفي تلك القرية تربى الشهيد المديفع في كنف عائلة فقيرة لكنها غنية باليمان معروفة بالعفاف وحسن الخلق.

«أنجار النور»

كان عمر الشهيد 19 عاماً وكان قد أنهى شطراً من المراحل المدرسية حينها كان يعمل في (البحرية) كوظيفة عادية للتكسب، والناس عرفوه منذ صغره متزماً متعبداً هادئ الطبع دمت الأخلاق، في هذه الظروف وبتاريخ 14 ربیع الأول 1399هـ حقق الله النصر المؤزر لروح الله وانفجر النور العظيم في إیران وحدث الزلزال في كل أنحاء العالم، انه انتصار الثورة الإسلامية المباركة وقيام الجمهورية الإسلامية الوحيدة في دولة إیران على يد المجدد الأعظم سید العلماء وإمام العظام الإمام روح الله الموسوي الخميني سلام الله عليه.

والشهيد المديفع كغيره من آلاف الشباب الملتهم سارع إلى التأييد المطلق للثورة الإسلامية واندفع متحمساً للدفاع عنها ومساندتها وخلال ست سنوات بعد الانتماء كان له دور كبير في توعية الشباب وربطهم بالإسلام الحالمي والالتزام بخط الولاية المقدس للإمام الخميني العظيم، يشهد له بذلك مسجد المزار في بلدة الدَّبَّابِيَّة بالقطيف كما يشهد له إقرانه من الشباب الذين عايشوه واستمدوا منه الروح العالية واستفادوا من مجالسه وندواته.

يقول عنه بعض أصحابه: (وكان طيب الفكاهة كثير الفائدة، لا يستحي ان يقول لا أعلم، لا يتدخل في ما لا يعنيه، خفيف الظل تشთاق إلى مجالسته، يدعوك إلى الكتاب ويوثق العرى بينك وبينه، لا يدخل بعلمه ويتمنى ان يفوته الناس في المعرفة... أعاد إلى المساجد رونقها والهدف منها بالمباحثة النافعة والاستذكار الطويل، حتى اتنا إذا أردنا الاجتماع به لم نبحث عنه لأننا نعلم انه في «مسجد المزار بقرية الدَّبَّابِيَّة» بالقطيف الحبيبة، ينهل من العلم بالمطالعة لا ينقطع عن ذلك ولا يفتر).

«الهجرة الميمونة»

من شدة شوق الشهيد (المُدَيْفع) إلى المعرفة وشدة ولعه بالجمهورية الإسلامية لم يستطع البقاء في بلده وصمم على الهجرة إلى إيران، وفي أوائل سنة 1405هـ وصل الشهيد إلى مدينة قم المقدسة وانشغل فور وصوله بالدروس الحوزوية، وكانت له المكانة المتميزة في قم بين كل من عرفه من الطلبة كما كانت مكانته بين أبناء بلده (القطيف)، وقضى في الحوزة العلمية قرابة سنة كاملة عُرف خلالها بالجد والالتزام وحسن السيرة ودماثة الأخلاق، ولم يشاهد منه أحد خلة أو زلة على الإطلاق.

«نحو جبهات الحق»

في منتصف عام 1406هـ تاقت نفس الشهيد إلى التطبيق العملي لمقارعة الطاغوت ولم يسعه البقاء في قم وهو يرى أفواج المجاهدين على جبهات القتال فصمم على الالتحاق بركب انصار الحسين (عليه السلام) وعشاق روح الله، وفعلاً تحققت أمنية الشهيد وإذا به في سوح القتال يقابع أحفاد بنى أمية وأعون صدام الكفار، وقضى له في الجبهة سنة كاملة، أو تزيد كان يتربّد خلالها على قم بين الفينة والآخر، وكان له في الجبهة موافق مشرفة ومشاهد رائعة كانت موضع إكبار واجلال لدى كل من عرفه من رفقائه في الجهاد.... وفي آخر مرة عاد فيها الشهيد إلى قم قادماً من الجبهة في إجازة معتادة التقى به في الأزقة - وكان اللقاء الأخير - وتعانقت معه بحرارة وكان مبتسماً مسروراً كأنه قادم من زفاف ولمسه فيه نورانية وروحانية لا تكاد توصف، وما قال لي في حديثه: (اني اشعر بالاستياء والوحشة جداً عندما افارق جبهة القتال واحس كأني فارقت حبيباً وفيما طالما ألفته وأنسستُ به).

ولا غرو ان يحمل الشهيد هذه الروح العالية وذلك العشق المتمز «ان الجهاد باب من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه»، ولا شك ان الشهيد (المُدَيْفع) من اولئك الابطال الذين اختصهم الله بألطفاه وغمدهم برحمته.

«شرف الشهادة»

جاء في الحديث الشريف: «فوق كل بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله وليس فوقه بر» وهكذا تكاملت روح الشهيد (المُدَيْفع) وسمت وارتفت حتى اقتربت من الملوك الأعلى وأصبح أهلاً للشهادة ولائقاً بها، كان الشهر شهر الله شهر رمضان المبارك وأولياء الله جميعاً في ضيافة الله والشهيد كان على الجبهة الغربية للجمهورية الإسلامية مشغولاً بالكافح المسلح كما هو مشغول بالدعاء والعبادة، وفي اليوم الثامن عشر من الشهر الشريف كان على بعض الوقت ثم يكرروا راجعين إلى مواقعهم لمواصلة الجهاد، وفي طريقهم إلى الخطوط الخلفية للجبهة لبعض الوقت ثم يكرروا راجعين إلى مواقعهم لمواصلة الجهاد، وفي طريقهم إلى مؤخرة الجبهة وهم مستقلون حاملة جنود عسكرية جنٌ عليهم الليل فداهمهم أعداء الثورة من منافقين

(كردستان) ووقعت الملحمة الكبرى بين الطرفين حيث رفع أنصار الإمام العذل والاستسلام وبعد معركة دامية استشهد سائق الناقلة العسكرية وعرجت روحه إلى السماء، وكان الشيخ (المدّيـفع) مشغولاً بتلاوة القرآن مستغلاً ليلة القدر وأيام الشهر المبارك ولم يكن يعبأ بكثافة النيران واحتدام المعركة، وفي هذه الحال آن الأوان للقاء الشهيد بربه فأصابته رصاصة في صدره وأُصيب بضربة قاتلة في رأسه فخرّ إلى الأرض مزملًا بدماهه شاكياً إلى الله طلم أعدائه فرحاً مستبشرًا بلقاء ربـه «ولا تحسـبـنـ الـذـيـنـ قـتـلـوـاـ فيـ سـبـيلـ إـلـىـ أـمـواـتـاـ» بل أحـيـاءـ عندـ رـبـهـمـ يـرـزـقـونـ فـرـحـيـنـ بـمـاـ آـتـاهـمـ إـلـىـ فـضـلـهـ وـيـسـبـشـرـوـنـ بـالـذـيـنـ قـتـلـوـاـ يـلـحـقـوـاـ بـهـمـ مـنـ خـلـفـهـمـ أـلـاـ خـوـفـ عـلـيـهـمـ وـلـاـ هـمـ يـحـزـنـوـنـ يـسـبـشـرـوـنـ بـنـعـمـةـ مـنـ إـلـىـ وـفـضـلـ وـانـ إـلـىـ لـاـ يـضـعـ اـجـرـ المـؤـمـنـيـنـ» وهـكـذاـ عـرـجـتـ رـوـحـ الشـهـيدـ (الـشـيـخـ عـلـيـ المـدـيـفعـ) إـلـىـ بـارـئـهـ رـاضـيـةـ مـرـضـيـةـ وـنـالـ (المـدـيـفعـ) أـسـمـيـ وـسـامـ وـفـارـ بـأـفـضـلـ كـرـامـةـ وـلـحـقـ بـرـكـ الشـهـداءـ وـالـصـدـيقـيـنـ فـهـنـيـئـاـ لـهـ بـالـشـهـادـةـ وـالـسـلـامـ عـلـيـهـ يـوـمـ وـلـدـ وـيـوـمـ هـاجـرـ إـلـىـ أـرـضـ الـثـورـةـ وـالـجـهـادـ وـيـوـمـ قـارـعـ الطـاغـوتـ عـلـىـ جـبـهـاتـ الـحـقـ وـيـوـمـ سـقطـ مـصـرـجاـ بـدـمـهـ شـهـيدـاـ فيـ سـبـيلـ إـلـىـ

«من خصائص الشهيد»

امتازت شخصية الشهيد وسيرته بسماليات كثيرة قلَّ ان توجد في سواه وقد سبقت الإشارة إلى بعضها في ما مضى، والذي أريد ذكره الآن بعض خصائصه كشهيد فقط، انه قل من الشهداء من يحصل على تلك الألطاف والعناية الإلهية التي حمل عليها شهيدنا (المدفع)، لقد اختاره الله إليه ورزقه الشهادة في ظروف ومناسبات توحـيـ بـعـالـهـ مـنـ الـمـكـانـةـ السـامـيـةـ وـالـمـنـزـلـةـ الرـفـيـعـةـ عـنـ اللهـ عـالـىـ وـأـلـلـهـ مـنـ تـلـكـ المـيـزـانـاتـ فيـ التـالـيـ:

1 - أُصيب الشهيد (الشيخ على المدّيـفع) في أول ليالي القدر المباركة ليلة التاسع عشر وهي الليلة التي أُصيب فيها إمامـةـ عـلـيـ (عليـهـ السـلـامـ).

2 - عمر الشهيد حين استشهاده 27 عاماً حيث ولد سنة 1380هـ واستشهد 1407هـ، وهو مطابق لعمر شبيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أول شهداء الهاشميـنـ في كربلاء على الأكبر بن الإمام الحسين (عليـهـ السـلـامـ).

3 - بعد ان نقل جثمان الشهيد الطاهر إلى قم المقدسة تم له تشيع عظيم حافل شارك فيه جموع من المؤمنين وأهل العلم ثم أولحد في قبره الشريف في مقبرة الشهداء مقبرة علي بن جعفر في قم المقدسة وكان ذلك ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك وهي أفضل ليالي القدر وأشرفها.

ولا أنسى هنا أني حين جئت لإلقاء النطرة الأخيرة على جثمان الشهيد مع جملة من أصحابه ومحبيه كشفنا عن وجهه فلم نشعر انه ميت بل رأينا كالنائم في سبات عميق هادئ البال مطمئن النفس وبشائر السرور والارتياح بادية على محياه بشكل لمسه الجميع بل ان البعض أهوى عليه يقبله وبعانته كما يعانق الحي الفرح المستبشر.

فهنيئاً لشهدانا (المدفع) على ما ناله من درجات عالية وهنيئاً لمن سبقه ولحقه من الشهداء الأبرار، ربنا ارزقنا ما رزقتم وأعطانا كما أعطيتكم واحشرنا في زمرتهم وارزقنا شفاعتهم.

والسلام عليهم جميعاً وعلى أولياء الله الصالحين

«وصية الشهيد»

بسمه تعالى

وصيتي إلى المسلمين والمستضعفين في العالم

ايها المسلمون المستضعفون في العالم عليكم ان تنتبهوا لما يدور حولكم دائماً فانكم لو انتبهتم الى ذلك لرأيتم كيف ان الكفر والنفاق والاستكبار كلهم قد برز للقضاء عليكم ولا يكفي ان نعرف هذا بل ان الاهم من ذلك هو التخطيط والعمل الجدي مع التحلّي بالإيمان والمير والاستمرارية الى نهاية المخطط السليم الذي يرسمه لنا العقل السليم. ولا أعتقد ان إنساناً يملك عقلاً سليماً وهو يتبع قائداً غير الامام روح الله الموسوي الخميني روحاني له الفداء فإن هذا الامام قد جسّد صفات الانبياء والاصحاء وهو القائم مقام صاحب الزمان في زماننا الحاضر فيها مسلمي العالم ويَا مستضعفـي العالم ان تمسـكـمـ بالـامـامـ وتنـفيـدـكمـ لأـوـامـرهـ يعنيـ انـكـمـ تسـيرـونـ عـلـىـ الخطـ الصـحـيـ المستـقـيمـ فـاستـغـلـواـ فـرـصـةـ وجودـ الإـمامـ فإنـ الحقـ معـهـ أـيـنـماـ كانـ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم الفقير إلى الله

علي عيسى المدفع

